مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٧ع٣ ص ص: ٢٧- ٦٢ (٢٠١٨م)
DOI:10.4197/Art.27-3.2

آيَاتُ البُشْرَى فِي سُورَة البَقَرَة وَأَهَمّيَتُهَا للدُّعَاة

(دراسة دعوية)

د.أحمد محمد عبيد

أستاذ مشارك –كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك عبد العزيز

مستخلص. الحمد لله، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
فهذا بحث بعنوان: آيات البشرى في سورة البقرة وأهميتها للدعاة (دراسة دعوية).
وقد تناول بالدراسة والتحليل الآيات التي ورد فيها كلمة "البشرى"، وعددها أربع، وقسمتها إلى أربعة فصول:
–الفصل الأول قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[البقرة:٢٥]
–الفصل الثاني قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِين﴾[البقرة:٩٧]
–الفصل الثالث قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين﴾[البقرة:١٥٥]
–الفصل الرابع قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين﴾[البقرة:٢٢٣]
وسبق التعريف بالسورة، وسبب التسمية، وفضلها، ومحور مواضيعها.
كما بيّن البحث سبب نزول كل آية، وأهم أقوال علماء التفسير فيها، والمعنى المجمل للآية، والدروس والعبر المستفادة للدعاة.
وقد تبين من خلال البحث: أن التبشير من القول الحسن، الذي أمرنا الله به ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[البقرة:٨٣] والتبشير وصية النبي ﷺ لأتباعه وأمّته؛ فكان إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره، يوصيه بقوله: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا". والتبشير بالخير من أحب الأعمال إلى الله، سرور تدخله على مسلم تزرع به الأمل وتزيل عنه غبار اليأس، وهذا مما يجب أن يوصى به كل داعية أراد النجاح لدعوته، بل كل مسلم أراد أن يكون على هدي الحبيب ﷺ.

المقدمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركا يوافي نعمه ويكافىء مزيده، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه، وصفوة خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
نسأل الله التوفيق لما يرضاه، من العمل والقول. أما بعد:

تمُر على أهل الإيمان أزمان متعددة ومختلفة، فيها العلو وفيها دون ذلك. وفي زمن الغربة الذي يعيشه الصادقون حيث علت صولة أهل الظلم وأصبحت لهم القوة والمنعة، وضعُف أهل الحق، تأتي البشارات من الله تعالى للمؤمنين بقرب الفرج وزوال الكرب، عن الإسلام وأهله، وأن الله تعالى بشّر المؤمنين بأن لهم في الجنة من النعيم المقيم ما يسعدون به، ولا يشقون أبدا، وأمرهم بالصبر، فإن وعد الله آت والعاقبة للمتقين. وبشَّرهم بالنصر؛ فإن التبشير من مقاصد إرسال الرسل، قال تعالى:﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون**﴾**[الأنعام:٤٨]**

وفي خضم أجواء القلق والاضطراب نحتاج إلى رفع رايات التبشير؛ لذلك اخترت آيات البشرى في سورة البقرة؛ فخلق التبشير يدعو إلى الاستئناس والارتياح، وبث الأمل، والتبشير بالخير يمد السامعين بعلو الهمة، ويدفعهم إلى العلم والعمل. والتبشير بالخير يثبّت الإنسان في المواقف العصيبة، ويُطمئن القلوب المضطربة، ويشرح الصدور. والبشرى فيها إقبال قلوب العصاة إلى الله، وفتح باب التوبة.

وكان نبي الله ﷺ يُعرف البشر في وجهه، قال تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا**﴾**[مريم:٩٧]** فالبشرى بأن الله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات. ومن البشرى أن تخبر الناس بأن الإسلام يجبّ ما قبله؛ ليُقبِلوا على التوبة، والبشرى تبعث الأمل، وتبث الثقة، وتمسح عن الناس غبار اليأس والقنوط.

جعلنا الله من المبشرين لا المنفرين، ومن الميسرين لا المعسرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث وسبب اختياره

بفضل الله تعالى عايشت كثيرا من الدعاة والوعاظ، وسمعت كثيرا من الخطباء؛ فوجدت أن خطاب الإنذار والتخويف، والويل والثبور وعظائم الأمور، هو الخطاب الطاغي على الخطاب الديني، أما البشرى للأمة بالنصر والتمكين في الأرض وقيادة البشرية من جديد فأصبح عملة نادرة قلما تجد من يتعامل معها إلا من رحم الله. فرأيت أن هذا المعنى العظيم (البشرى) الذي بشّر الله عباده بالنصر والفلاح والخير والنماء والأمن والأمان، يجب أن يعود على الطرح حتى لا ييأس الناس من رحمة الله مهما أظلمت الدنيا واشتدت المآسي؛ فرحمة الله واسعة. وكأن هؤلاء لم يقرؤوا من الآيات إلا أن الله شديد العقاب، ونسوا أن الله غفور رحيم حتى أصابوا البعض بالكآبة والبعض الآخر بالقنوط واليأس، والله أرحم الراحمين، بشّر العصاة بالمغفرة والرحمة لمن تاب منهم، قال تعالى: ﴿**نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيم**﴾**[الحجر:٤٩]**

فعلى الدعاة والوعاظ والخطباء أن يشيعوا البشرى وينشروا التفاؤل ويستنهضوا الهمم لإحياء الأمل في النفوس، قال تعالى:

﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون**﴾**[الأنبياء:١٠٥]**

إن التبشير وعدم التنفير من المسائل الدعوية التي يجب أن يفقهها الدعاة إلى الله، فرسولنا وقدوتنا محمد ﷺ علَّم أصحابه كما علَّم من جاء بعدهم من

أمّته إلى قيام الساعة بقوله: «**إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**»[١] وأحاديث رسول الله ﷺ تبيّن لنا أن الدعوة إلى الله هي رسالة تحتاج إلى فقه في إيصالها، وخلق عظيم في ممارستها، وهي رسالة النبي الخاتم التي ورّثها للدعاة إلى دينه. من هنا كان سبب اختياري لهذا البحث والكتابة فيه.

الدراسات السابقة

بعد البحث وجدت ثلاثة بحوث كُتبت في البشارة، وهي:

١- أسلوب البشارة في القرآن وتطبيقاته التربوية – رسالة ماجستير، عبد الرقيب الهندي – كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.

٢- البشارة في القرآن، دراسة موضوعية – رسالة ماجستير، قاسم عبد الله حسين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣- البشرى في القرآن الكريم – رسالة ماجستير، محمد السيد الهاشم – جامعة الملك سعود – قسم التربية.

فما كتب من بحوث تعرضت لكلمة "البشرى" و"البشارة" من الناحية التربوية، ولم تسلط الضوء على الناحية الدعوية، كما أني لم أجد من خص سورة البقرة وحدها كما فعلت في بحثي الذي كتبته، وذكرت فيه أسباب النزول، وأقوال العلماء، والمعنى المجمل للآيات، ثم استنباط الدروس والعبر الدعوية من الآيات.

سائلين الله التوفيق والسداد.

منهج البحث وأسلوبه

استخدمت في تناولي لموضوعات هذا البحث ثلاثة مناهج:

١- الاستقراء، من خلال أقوال أشهر علماء التفسير؛ كالطبري والثعلبي، والقرطبي، وابن كثير وغيرهم.

٢- التحليل، من خلال بذل الوسع فيما تدعو إليه الآية وما ترمي إليه.

٣- الاستنباطات الدعوية التي يحتاجها الدعاة، والدروس والعبر المستفادة.

وقد راعيت في أسلوب البحث: تيسير العبارة وتقريبها للقارىء، وشرح غريب الألفاظ إن وجدت.

وأذكر ما قاله مفسرون إذا وافق قولهم قول المفسر الذي أستعرض تفسيره للآية، أو لاحتواء قول الآخر فائدة ليست في الأول؛ فرتبت أقوال المفسرين على حسب ما تقتضيه الفائدة. وكذلك ترتيب الأحاديث والآثار.

وَعَلَّقْتُ الأحاديث والآثار الواردة في صلب البحث؛ فما كان في أحد الصحيحين أحلت إليه في الهامش بالرقم دون ذكر إسناده، وما كان ليس منهما ذكرت إسناده أو مَدَارَ إسناده الذي صح فيه. ولم أحتجّ إلا بالصحيح أو ما يشبه الصحيح. وما يورده المفسرون معلّقا في تفاسيرهم غير مسند فليس هو بحجة، وقد أحيل إلى بعض المصادر التي تناقلتها.

واعتمدت في تخريج الأحاديث والآثار على ذكر مصدر الحديث مع رقمه حسب التسلسل المعتمد في

---

[١] صحيح البخاري. ح٢٢٠.

الكتب الالكترونية الموافقة للمطبوع، مع بيان درجة صحتها، والاقتصار في تخريجها على ما تتم به الفائدة.

وفي تخريج الأحاديث المرفوعة أشير بحرف "ح" قبل رقم الحديث.

وفي تخريج ما سواها من الأخبار فإني أجعل رقم الخبر بين معكوفتين.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول.

ويشمل التمهيد: أ–التعريف بالسورة. **ب**–سبب التسمية. **ج**–فضلها. **د**–محور مواضيعها.

هـ–التعريف اللغوي لكلمة "البشرى".

–**الفصل الأول قوله تعالى:** ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ...﴾[البقرة:٢٥]

المبحث الأول: سبب النزول. **المبحث الثاني:** أهم أقوال علماء التفسير. **المبحث الثالث:** المعنى المجمل للآية. **المبحث الرابع:** الدروس والعبر المستفادة.

–**الفصل الثاني قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ...﴾[البقرة:٩٧]

المبحث الأول: سبب النزول. **المبحث الثاني:** أهم أقوال علماء التفسير. **المبحث الثالث:** المعنى المجمل للآية. **المبحث الرابع:** الدروس والعبر المستفادة.

–**الفصل الثالث قوله تعالى:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ...﴾[البقرة:١٥٥]

المبحث الأول: سبب النزول. **المبحث الثاني:** أهم أقوال علماء التفسير. **المبحث الثالث:** المعنى المجمل للآية. **المبحث الرابع:** الدروس والعبر المستفادة.

–**الفصل الرابع قوله تعالى:** ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...﴾[البقرة:٢٢٣]

المبحث الأول: سبب النزول. **المبحث الثاني:** أهم أقوال علماء التفسير. **المبحث الثالث:** المعنى المجمل للآية. **المبحث الرابع:** الدروس والعبر المستفادة.

ثم **الخاتمة** ثم **المصادر والمراجع والفهرس.**

التمهيد

أ– التعريف بالسورة:

سورة البقرة عدد حروفها ٢٥٥٠٠، وعدد كلماتها ٦١٢١، وعدد آياتها ٢٨٦.(١)

وهي من أوائل ما نزل بعد الهجرة؛ فهي مدنية، وهي أطول سور القرآن الكريم، وفيها أطول آية، وهي آية الدَّين. كذلك اشتملت على آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن.(٢)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "**وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده**".(٣)

ب– سبب التسمية:

(١) انظر ((البيان في عد آي القرآن)) للداني، ص١٤٠. وابن كثير في ((التفسير)) (١٥٥/١) والسيوطي في ((الإتقان)) (٤٣٦/٢).

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي (٧٨/١). وانظر ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) – أبو إسحاق الثعلبي (٩/٣).

(٣)أخرجه البخاري (٤٩٩٣). وقولها: "وأنا عنده" تعني حين بنى بها رسول الله ﷺ. وإنما بنى بها بالمدينة، وخبر ذلك في البخاري (٣٨٩٤)، وفي صحيح مسلم (١٤٢٢).

سُميت سورة البقرة بهذا الاسم لاشتمالها على قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لينكشف قاتل أحدهم. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين**﴾**[البقرة:٦٧]** ولم ترد هذه القصة إلا في سورة البقرة.[١]

ج- فضلها:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[٢][٣]

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»[٤]

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: «**هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**»[٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فقص الحديث، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وقال النبي ﷺ: «**صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان**»[٦]

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**»[٧]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "**أعظم آية في كتاب الله عز وجل: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم...﴾**".[٨]

---

[١] التفسير المنير – وهبة الزحيلي (٧٠/١).
[٢] صحيح البخاري ح٥٠٠٩.
[٣] قال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) (٥٦/٩): "قوله كفتاه: أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن وقيل أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقا سواء كان داخل الصلاة أم خارجها وقيل معناه أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالا وقيل معناه كفتاه كل سوء وقيل كفتاه شر الشيطان وقيل دفعتا عنه شر الإنس والجن وقيل معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجوعهم إليه وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم".
[٤] صحيح مسلم ح٨٠٤. وصحيح ابن حبان ح١١٦.
[٥] صحيح مسلم ح٨٠٦.
[٦] صحيح البخاري ح٥٠١٠.
[٧] صحيح مسلم ح٨١٠.
[٨] سنن سعيد بن منصور (٤٢٦، ٤٢٧) إسناده صحيح، وأخرجه غير واحد، ومداره على شُتَيْر بن شَكَل ومسروق بن الأجدع عن ابن مسعود. وصححه محقق الكتاب سعد بن عبد الله آل حميد.

وفي لفظ: "**ما خلق الله من سماء ولا أرض، ولا جنة ولا نار، أعظم من آية في سورة البقرة ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾**"[١][٢]

وعنه، قال: "**إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة**".[٣]

وعنه، قال: "**الآيات الأواخر من سورة البقرة إنهن لمن كنز تحت العرش**".[٤]

وعنه، قال: "**لما أسري برسول الله ﷺ، انتهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قال: فراش من ذهب قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا، المقحمات**".[٥]

وروي عنه أنه قال: "**إن لكل شيء سناما، وإن سنام القرآن البقرة، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، وأَصْفَرُ البيوتِ: الجوفُ الذي ليس فيه من كتاب الله شيء**"[٦]

د- محور مواضيع السورة:

تناولت التشريع الإسلامي المنظم لحياة المسلمين في نظامي العبادات والمعاملات، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأحكام الحج والجهاد، وغيرها الكثير مما ينظم حياة الفرد والمسلم والجماعة. وبيّنَت أحوال المنافقين وصفاتهم، وكذلك صفات الكافرين وأحوالهم.

وتبين السورة موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، ومواجهتهم لرسول الله ﷺ، والفئة المؤمنة التي معه، وعلاقة المنافقين باليهود من جهة، وبالمشركين من جهة أخرى. كما اهتمت الآيات بإعداد الجماعة المسلمة لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض.

هـ التعريف اللغوي لكلمة البشرى:

قال ابن سِيدَه: "والبِشْرُ الطَّلاقَةُ، وقد بَشَرَهُ بالأَمْرِ يَبْشُرُهُ بَشْراً وَبُشُوراً وبُشْراً وبَشَرَه به، كُلُّهُ عن اللّحياني. وَبَشَّرَهُ وأَبْشَرَهُ فَبَشَرَ به وَبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْراً وبُشُوراً وبَشِرَ وتَبَشَّرَ وَاسْتَبْشَرَ وأَبْشَر: فَرِحَ".[٧]

وقال الجوهري: "بَشَرْتُ الرجلَ أَبْشُرُه، بِالضَّمِّ، بَشْراً وبُشُوراً مِنَ البُشْرَى، وَكَذَلِكَ الإِبشارُ والتَّبْشِيرُ ثلاثُ لُغَاتٍ، وَالِاسْمُ البِشارَةُ والبُشارَةُ، بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ. يُقَالُ:

---

(١) صحيح كسابقه، رواه الأكثرون بهذا اللفظ، وهو في ((خلق أفعال العباد)) للبخاري ص٣٣، من طريق الحميدي. وأبو عبيد القاسم بن سلام في ((فضائل القرآن)) (٤٢١) وغيرهما.

(٢) قال سفيان بن عيينة في تفسيره: "إن كل شيء مخلوق، والقرآن ليس بمخلوق، وكلامه أعظم من خلقه، لأنه يقول للشيء: كن، فيكون، فلا يكون شيء أعظم مما يكون به الخلق، والقرآن كلام الله". (خلق أفعال العباد – ص٣٣).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد، (٤١٧) قال: حدثني محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن عبد الله، فذكره. وإسناده صحيح.

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد، (٤٢٧) قال: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان عن زبيد اليامي، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، فذكره. وإسناده صحيح.

(٥) صحيح مسلم ح١٧٣. والتقحم: الوقوع في المهالك.

(٦) أخرجه ابن الضريس في ((فضائل القرآن)) (١٧٧) قال: "أخبرنا أبو الربيع الزهراني، أخبرنا حماد، حدثنا عاصم، عن أبي الأحوص، عن عبد الله..." فذكره. وإسناده مقبول.
وقوله "أصفر" لعلها من الصِفْر، يعني الخاوي.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٧-٥٩/٨).

بَشَرْتُه بِمَوْلُودٍ فَأَبْشَرَ إِبْشاراً أَي سُرَّ. وَتَقُولُ: أَبْشِرْ بِخَيْرٍ، بِقَطْعِ الأَلف. وبَشِرْتُ بِكَذَا، بِالْكَسْرِ، أَبْشَرُ أَي اسْتَبْشَرْتُ بِهِ".(١)

وَقَالَ اللَّيْث: "البِشَارَةُ: مَا بُشِّرتَ بِهِ، والبشيرُ: الَّذِي يُبَشِّرُ الْقَوْم بِأَمر خيرٍ أَو شَرّ، والبُشَارَةُ: حَقُّ مَا يُعطَى من ذَلِك. والبُشرَى: الِاسْم، وَيُقَال: بشرْتُهُ فأبشرَ، واستَبْشر، وتَبَشَّر. وتباشِيرُ الصُّبْح: أوائلُه".(٢)

وقال القرطبي: "وَالتَّبْشِيرُ الْإِخْبَارُ بِمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى الْبَشَرَةِ- وَهِيَ ظَاهِرُ الْجِلْدِ- لِتَغَيُّرِهَا بِأَوَّلِ خَبَرٍ يَرِدُ عَلَيْكَ، ثُمَّ الْغَالِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي السُّرُورِ مُقَيَّدًا بِالْخَيْرِ الْمُبَشَّرِ بِهِ، وَغَيْرَ مُقَيَّدٍ أَيْضًا. وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْغَمِّ وَالشَّرِّ إِلَّا مُقَيَّدًا مَنْصُوصًا عَلَى الشَّرِّ الْمُبَشَّرِ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ وَيُقَالُ: بَشَرْتُهُ وَبَشَّرْتُهُ- مُخَفَّفٌ وَمُشَدَّدٌ- بِشَارَةً (بِكَسْرِ الْبَاءِ) فَأَبْشَرَ وَاسْتَبْشَرَ. وَبَشِرَ يَبْشُرُ إِذَا فَرِحَ. وَوَجْهٌ بَشِيرٌ إِذَا كَانَ حَسَنًا بَيِّنَ الْبَشَارَةِ (بِفَتْحِ الْبَاءِ). وَالْبُشْرَى: مَا يُعْطَاهُ الْمُبَشِّرُ. وَتَبَاشِيرُ الشَّيْءِ: أَوَّلُهُ".(٣)

الفصل الأول: قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾

المبحث الأول: أسباب النزول

قال ابن كثير: لمّا ذكر تعالى ما أعده لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال، عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، وهذا معنى تسمية القرآن "مثاني" على أصح أقوال العلماء، وهو أن يذكر الإيمان ويتبعه بذكر الكفر، أو عكسه، أو حال السعداء ثم الأشقياء، أو عكسه. وحاصله ذكر الشيء ومقابله.(٤)

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير في الآية

قال الثعلبي: "﴿وَبَشِّرِ﴾ أي وأخبر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والتبشير: إيراد الخبر السار على سامع يُسر ويستبشر به، وأصله من البَشَرَة لأنّ الإنسان إذا فرح بان ذلك في وجهه وبشرته، ثمّ كثر حتى وضع موضع الخبر فيما ساء وسرّ قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي: الخصال والفعلات الصالحات، نعت لاسم مؤنث محذوف. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: في قوله تعالى: ﴿وعملوا الصالحات﴾ قال: أخلصوا الأعمال.(٥)

يدل عليه قوله تعالى: ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ أي: خالصا؛ لأن المنافق والمرائي لا يكون عمله صالحا. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أقاموا الصلوات المفروضات.(٦)

---

(١) لسان العرب (٦١/٤).
(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٢٤٦/١١).
(٣) تفسير القرطبي (٢٣٨/١).
(٤) تفسير ابن كثير (٢٠٣/١).
(٥) ذكره البغوي في ((معالم التنزيل)) (٧١/١)، وابن الجوزي في ((زاد المسير)) (٥٢/١)، وأبو حيان في ((البحر المحيط)) (٢٥٤/١) والخازن في ((لباب التأويل)) (٤٠/١).
(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٥٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٤/١).

وقال ابن عباس: عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فيما بينهم وبين ربّهم.[١]

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: العمل الصالح يكون فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والإخلاص.[٢]

وقال سهل بن عبد الله: لزموا السنّة لأنّ عمل المبتدع لا يكون صالحا.[٣]

﴿جنات﴾ جمع الجنة، وهي البستان، سميت جنة لاجتنائها بالأشجار.[٤]

﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: من تحت شجرها ومساكنها.

والأنهار جمع نَهَر، سُمّي نهرا لسعته وضيائه، ومنه النهار.

وأراد بالأنهار: المياه على قرب الجوار؛ لأن النهر لا يجري. وقد جاء في الحديث: **أنهار الجنة تجري في غير أخدود.**[٥][٦]

﴿كُلَّما﴾ متى ما ﴿رُزِقُوا﴾ أطعموا ﴿مِنْها﴾ من الجنّة ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: أي ثمره، و (من) صلة.

﴿رِزْقاً﴾ طعاما.

﴿قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا﴾ أطعمنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: لتشابهها. و﴿قَبْلُ﴾ رفع على الغاية، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

﴿وَأُتُوا﴾ وجيئوا ﴿بِهِ﴾ أي: بالرزق. وقرأها هارون بن موسى: (وَأَتَوْا) بفتح الألف، أراد أتاهم الخدم به.

﴿مُتَشابِهاً﴾ اختلفوا في معناه، فقال ابن عباس ومجاهد والسدي والربيع: مُتَشابِهاً في الألوان، مختلفا في الطعوم.[٧]

وقال الحسن وقتادة: مُتَشابِهاً في الفضل، خيارا كلّه لأنّ ثمار الجنة لا ينفى منها شيء، وثمار الدنيا يتقى ويسترذل منها.

وقال محمد بن كعب وعلي بن زيد: يعني يشبه ثمار الدنيا غير أنها أطيب.[٨]

وقال بعضهم: مُتَشابِهاً في الاسم مختلفا في الطعوم.

وقال ابن عباس: ليس في الجنة شيء ممّا في الدنيا غير الأسماء.[٩]

﴿وَلَهُمْ فِيها﴾ في الجنّات. ﴿أَزْواجٌ﴾ نساءٌ وجوارٍ، يعني الحور العين.

قال ثعلب: الزوج في اللغة: الرجل والمرأة، والشفع والفرد والنوع واللون، وجمعها أزواج.[١]

---

(١) ذكره الواحدي في ((البسيط)) (٢/٦٣٣).

(٢) ذكره البغوي في ((معالم التنزيل)) (١/٧٣)، والخازن في ((لباب التأويل)) (١/٤٠)، وأبو حيان في ((البحر المحيط)) (١/٢٥٤).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١/٢٥٤).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (١/٧٣).

(٥) الأخدود: الشق في الأرض، وجمعه: الأخاديد. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/١٣).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٦٦٦٣)، قال: حدثنا وكيع، عن مسعر، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، قال: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، وثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا". إسناده صحيح، والخبر موقوف على مسروق بن الأجدع رحمه الله.

(٧) أخرجه الطبري من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ. ولا يصح.

وأخرجه من طُرُق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، بمثله.

انظر جامع البيان (تفسير الطبري) (١/٤٠٧).

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٤١) عن معمر عن قتادة قال: يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أطيب.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٠) وهناد بن السري في ((الزهد)) (١/٤٩) من طريق أبي معاوية الضرير، ومحمد بن عبيد، ووكيع، ثلاثتهم عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس به. وإسناده صحيح.

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقيء والمني والولد وكل قذر وكل دنس.

وقال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد.[٢]

وقيل: مطهّرة عن مساوئ الأخلاق.

وقال يمان: مطهّرة من الإثم والأذى.[٣]

قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون**» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس**» [٤]

﴿وهم فيها خالدون﴾ أي: دائمون مقيمون، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها".[٥]

قال الإمام الطبري: "﴿وبشر﴾ فإنه يعني: أخبرهم. والبشارة أصلها الخبر بما يسر المخبر به إذا كان سابقا به كل مخبر سواه.

وهذا أمر من الله نبيه محمدا ﷺ بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند ربه، وصدقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة، فقال له: يا محمد بشر من صدقك أنك رسولي وأن ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي، وحقق تصديقه ذلك قولا بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه وأوجبتها في كتابي على لسانك عليه، أن له جنات تجري من تحتها الأنهار خاصة، دون من كذب بك وأنكر ما جئت به من الهدى من عندي وعاندك، ودون من أظهر تصديقك وأقر بأن ما جئته به فمن عندي قولا، وجحده اعتقادا ولم يحققه عملا. فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة معدة عندي. والجنات جمع جنة، والجنة: البستان. وإنما عنى جل ذكره بذكر الجنة ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها دون أرضها، فلذلك قال عز ذكره: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ لأنه معلوم أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنه جار تحت أشجارها وغروسها وثمارها، لا أنه جارٍ تحت أرضها؛ لأن الماء إذا كان جاريا تحت الأرض، فلا حظ فيها لعيون من فوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه. على أن الذي توصف به أنهار الجنة أنها جارية في غير أخاديد.

﴿كلما رزقوا منها﴾ من الجنات، والهاء راجعة على الجنات، وإنما المعني أشجارها، فكأنه قال: كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في جناته من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل.

﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة في

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١٠٧/٦).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٢٦٧١٨) قال: حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن أبي بلج سمعت إبراهيم يقول...فذكر نحوه. وفي صحته نظر.
(٣) ذكره أبو حيان في ((البحر المحيط)) (٢٦١/١) وقال: وكل هذه الأقوال لا يدل على تعيينها قوله تعالى ﴿مطهرة﴾، لكن ظاهر اللفظ يقتضي أنهن مطهرات من كل ما يشين؛ لأن من طهره الله تعالى ووصفه بالتطهير كان في غاية النظافة والوضاءة.
(٤) صحيح مسلم، ح٢٨٣٥. وصحيح ابن حبان، ح٧٤٣٥.
(٥) الكشف والبيان للثعلبي (١٦٦/٣-١٧٤).

الجنة رزقا، قالوا: هذا الذي رزقنا من قَبْلِ هذا في الدنيا.
﴿وأتوا به متشابها﴾ في اللون والمنظر، والطعم مختلف. يعني بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون، مختلفا في الطعم والذوق.
﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ الهاء والميم اللتان في ((لهم)) عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والهاء والألف اللتان في فيها عائدتان على الجنات. وتأويل ذلك: وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات فيها أزواج مطهرة. والأزواج جمع زوج، وهي امرأة الرجل يقال: فلانة زوج فلان وزوجته.
﴿مطهرة﴾ فإن تأويله أنهن طهرن من كل أذى وقذى وريبة، مما يكون في نساء أهل الدنيا من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمني، وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره.
﴿وهم فيها خالدون﴾ يعني تعالى ذكره بذلك: والذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنات خالدون، فالهاء والميم من قوله ﴿وهم﴾ عائدة على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والهاء والألف في فيها على الجنات، وخلودهم فيها: دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحبرة والنعيم المقيم".[١]
وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس: ٦٤]:" إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له؛ منها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الآية. وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه أن لهم البشرى في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فالجنة".[٢]
قال الإمام البغوي: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي أخبر. والبشارة: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب.
﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات.
﴿أن لهم جنات﴾ جمع الجنة، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سميت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار. وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكَرْم.
﴿تجري من تحتها﴾ أي: من تحت أشجارها ومساكنها.
﴿الأنهار﴾ أي المياه في الأنهار لأن النهر لا يجري وقيل ﴿من تحتها﴾ أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ أي بأمري والأنهار جمع نهر سمي به لسعته وضيائه، ومنه النهار.

---
[١] تفسير الطبري (٤٠٥/١-٤٢٢) – بتصرف يسير.
[٢] تفسير الطبري (١٤٠/١٥) – بتصرف يسير.

﴿كلما﴾ متى ما ﴿رزقوا﴾ أطعموا ﴿منها﴾ أي من الجنة ﴿من ثمرة﴾ أيّ ثمرة و "من" صلة.

﴿رزقا﴾ طعاما ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ و((قبل)) رفع على الغاية. قال الله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ قيل: من قبلُ في الدنيا. وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون، مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى.

﴿وأتوا به﴾ بالرزق ﴿متشابها﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابها في الألوان، مختلفا في الطعوم. وقال الحسن وقتادة: متشابها. أي يشبه بعضها بعضا في الجودة، أي كلها خيار لا رذالة فيها. وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب. وقيل متشابها في الاسم مختلفا في الطعم. قال: ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي.

﴿ولهم فيها﴾ في الجنان ﴿أزواج﴾ نساء وجواري يعني من الحور العين ﴿مطهرة﴾ من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والبصاق، والمخاط والمني، والولد، وكل قذر. وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق.

﴿وهم فيها خالدون﴾ دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها".[١]

قال الشيخ السعدي: "لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين، أهل الأعمال الصالحات، على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا فقال: ﴿وَبَشِّرِ﴾ أي: يا أيها الرسول ومن قام مقامه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة.

ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه، وحياته الدنيوية والأخروية، ويزول بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين، الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته.

فبشرهم ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة، والظل المديد، والأغصان والأفنان وبذلك صارت جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذا من جنسه، وعلى وصفه، كلها متشابهة في الحسن واللذة، ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة، فهم دائما متلذذون بأكلها.

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ قيل: متشابها في الاسم، مختلف الطعوم وقيل: متشابها في اللون، مختلفا في الاسم، وقيل: يشبه بعضه بعضا، في الحسن، واللذة، والفكاهة، ولعل هذا الصحيح.

---

[١] معالم التنزيل (تفسير البغوي) (١/٧٣-٧٤) – بتصرف يسير.

ثم لما ذكر مسكنهم، وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم، ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه، وأوضحه فقال: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ فلم يقل مطهرة من العيب الفلاني؛ ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار، فأخلاقهن، أنهن عُرُبٌ متحببات إلى أزواجهن بالخلق الحسن، وحسن التبعّل، والأدب القولي والفعلي، ومُطَهَّرٌ خَلْقُهن من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، والرائحة الكريهة، ومطهرات الخلق أيضا، بكمال الجمال، فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق، بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان والطرف، قاصرات طرفهن على أزواجهن، وقاصرات ألسنتهن عن كل كلام قبيح.

ففي هذه الآية الكريمة، ذكر المبشِّر والمبشَّر، والمبشَّرُ به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشِّر: هو الرسول ﷺ ومن قام مقامه من أمته، والمبشَّر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشَّر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك، هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل الأسباب.

وفيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشرى عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهم".[١]

قال صاحب اللباب: "اعلم: أنه – سبحانه وتعالى – لما تكلم في التوحيد والنبوة، تكلم بعدهما في ذكر المعاد، وبين عقاب الكافر، وثواب المطيع، ومن عادة الله – تعالى – أنه إذا ذكر الوعيد، أن يعقبه بذكر الوعد".[٢]

قال السمعاني: "﴿ولهم فيها أزواج﴾ قيل: من الحور العين، ويحتمل من أزواج الدنيا.

﴿مطهرة﴾ من الأدناس، لا يتمخطن، ولا يتغوطن، ولا يحضن. وقيل: مطهرة الأخلاق، فيكن مطهرات خلقا وخلقا. ﴿وهم فيها خالدون﴾ أي: مقيمون لا يظعنون".[٣]

قال صاحب روح البيان: "و﴿هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ أي دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون منها. قال عكرمة: أهل الجنة وَلَدُ ثلاثٍ وثلاثين سنة، رجالهم ونساؤهم، وقامتهم ستون ذراعا على قامة أبيهم آدم، شباب جرد مرد مكحلون، عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة في كل ساعة سبعين لونا، لا يبزقون ولا يمتخطون، وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد يزدادون كل يوم جمالا وحسنا، كما يزداد أهل الدنيا هرما وضعفا، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم".[٤]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (تفسير السعدي) ص٤٦.
(٢) اللباب في علوم الكتاب (٤٤٥/١).
(٣) تفسير السمعاني (٥٠/١).
(٤) روح البيان، لإسماعيل حقي (٨٤/١).

قال فخر الدين الرازي: "اعلم أن مجامع اللذات إما المسكن أو المطعم أو المنكح فوصف الله تعالى المسكن بقوله: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ والمطعم بقوله: ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ والمنكح بقوله: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ ثم إن هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوف الزوال كان التنعم منغصا فبين تعالى أن هذا الخوف زائل عنهم فقال: ﴿وهم فيها خالدون﴾ فصارت الآية دالة على كمال التنعم والسرور".[(١)]

قال القاسمي: "من عادة التنزيل العزيز أنه لا يذكر فيه آية في الوعيد إلا ويتلوها آية في الوعد. وذلك لفوائد، منها: ليظهر بذلك عدله سبحانه؛ لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرّين على الكفر، وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصرّين على الإيمان. ومنها: أن المؤمن لا بد وأن يعتدل خوفه ورجاؤه، وذلك الاعتدال لا يحصل إلا بهذا الطريق. ومنها: أنه يظهر بوعده كمال رحمته، وبوعيده كمال حكمته، فيصير ذلك سببا للعرفان".[(٢)]

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية

ذكر الله تعالى ثواب المؤمنين؛ لتسكن قلوبهم إلى ذلك، وتزول عنهم الوحشة، كي يثبتوا على الحق، فقال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي: فرِّح قلوبهم لأنهم صدّقوا بكتابك، وعملوا برسالة نبيك. والقرآن الكريم يوضح المعاني بإيراد الأمثال والتشبيهات بالأمور المادية المحسوسة؛ لترسيخ المعاني في الأذهان، فإنْ كان المضروب له المثل عظيما كالإسلام: ضرب مثله بالنور والضياء، وإن كان حقيرا كالأصنام: ضرب مثله بما يشبهه كالذباب والبعوض. فيكون المثل لكشف المعنى وتوضيحه بما هو مشاهد. فأما المؤمنون فيهديهم الله إلى التصديق، ويكون جزاؤهم جنات الخلد، والاستمتاع بنعيمها، ففيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وفيها الأنهار الجارية، والثمار اليانعة، كما أن فيها الحور العين مقصورات في الخيام، مطهرات من كل دنس، وهم فيها خالدون.

وللخلود هنا معنى عظيم يترتب عليه دوام اللذة، وحُسن العشرة؛ فهي متعة دائمة متتابعة، لا مقطوعة ولا ممنوعة.

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

- جعل الله التبشير من مقاصد إرسال الرسل، فقال تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ [الأنعام:٤٨] ورسول الله ﷺ حين بعث معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**»[(٣)]

- التبشير بالخير من أحب الأعمال إلى الله، وهي سنة رسول الله ﷺ والصالحين من بعده؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعرانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلاَلٌ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلاَ تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «**أَبْشِرْ**» فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ، فَأَقْبَلَ

---

(١) التفسير الكبير (تفسير الرازي) (٣٥٦/٢).
(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٣٤٢/١).
(٣) صحيح البخاري ح٣٠٣٨، وصحيح مسلم ح١٧٣٣.

عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلاَلٍ كَهَيْئَةِ الغَضْبَانِ، فَقَالَ: «**رُدَّ البُشْرَى، فَاقْبَلاَ أَنْتُمَا**» قَالاَ: قَبِلْنَا...الحديث.[1]

وفي حديث أنس رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»[2]

وعنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ وَغَيْرُهُمْ بِنَعَمِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَمِنَ الطُّلَقَاءِ، فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ، فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا، التَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**». قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، ثُمَّ التَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ فَنَزَلَ فَقَالَ: «**أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**». فَانْهَزَمَ المُشْرِكُونَ...الحديث.[3]

وفي خبر عمرو بن ميمون الأودي رحمه الله، عن مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: "وولج عليه شاب من الأنصار، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استخلفت فعدلت، ثم الشهادة بعد هذا كله..."[4]

– التبشير بالخير يثبّت الإنسان في المواقف العصيبة، ويطمئن القلوب، ويشرح الصدور.

وبشّر الله المؤمنين بألوان النعم، منها الثمار المتشابهة، هذا التشابه في الشكل، والتنوع في المزية والصفات، وهو سمة واضحة في صنعة الله تعالى، تجعل الوجود أكبر في حقيقته من مظهره. وكذلك الناس تنوع في الأجناس، والهيئات، والسمات، والطبائع؛ فهذه آثار صنعته، وآيات قدرته. وإعجازُه في خلقه واضحُ الآثار فيما تراه الأبصار، وفيما لا تدركه الأبصار.

– ذكر الله تعالى أن من أسباب البشرى بالجنة بعد الإيمان به: عمل الصالحات، والأعمال الصالحات هي ما كانت موافقة للشرع، ويكون فيها المسلم مخلصا لربه، وهذا الإخلاص يقتضي أن يكون مالُه من حلال، فلا يأكل حراما، وأن يحب في الله، ويبغض في الله، وأن يؤدي الأمانة، وأن يَصْدُقَ في حديثه، ويتحرى الصدق حتى يُكتَب صِدّيقا، ولا يكون ممن يتحرى الكذب فيكون فاجرا مكتوبا عند الله كذابا [5]، وأن يعفو عن الناس ويصفح، فالعبد لا يزداد

---

[1] صحيح البخاري ح٤٣٢٨. وصحيح مسلم ح٢٤٩٧.

[2] صحيح البخاري ح٥٧٧٦. وصحيح مسلم ح٢٢٢٤.

[3] صحيح البخاري ح٤٣٣٧. وصحيح مسلم ح١٠٥٩.

[4] صحيح البخاري (١٣٩٢).

[5] كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا**» رواه مسلم ح٢٦٠٧.
وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في خطبته: "**ألا عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى الجنة، لا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ويثبت البر في قلبه ولا يكون الفجور في قلبه موضع إبرة ليستقر فيها، ألا وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويستقر الفجور في قلبه فلا يكن في قلبه موضع إبرة ليستقر فيها**".
أخرجه الطبراني في ((الكبير)) (٨٥٢٤) من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة الطيب، عن ابن مسعود به. والخبر صحيح، قد رواه (٨٥١٨) من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود، بنحوه، وفيه: "**وشر الروايا روايا الكذب، ألا إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ألا أن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإنه يقال للصادق: صدق وبر، ويقال للكاذب: كذب وفجر**".
وجاء في ((سنن سعيد بن منصور)) (١٠٥٠) مختصرا من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله: "**لا يصلح من الكذب جد ولا هزل**".
ورواه (١٠٤٩) عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: "**لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعِد**

بذلك إلا عزا[١]، وأن ينفق في سبيل الله، وأن يجاهد أعداء الله، وأن يسلم المسلمون من لسانه ويده وغلّه.

عن زيد بن أسلم قال: "دخل على أبي دجانة وهو مريض ووجهه يتهلك فقال: **ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلم فيما لا يعنيني وكان قلبي للمسلمين سليما**".[٢]

ورأس العمل الصالح: عمل القلب، الذي به يكون الزهد. قال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: "**أنتم أكثر صياما وأكثر صلاة وأكثر جهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرا منكم**. قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟!. قال: **كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة**". [٣]

وقال سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله: "ليس الزهد بأكل الغليظ، ولبس الخشن، ولكنه قِصَرُ الأمل، وارتقابُ الموت".[٤]

الفصل الثاني: قوله تعالى ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِين﴾

المبحث الأول: أسباب النزول

قال الطبري رحمه الله: "أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك، فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته".[٥]

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير

قال الطبري رحمه الله: " أما تأويل الآية، فهو أن الله يقول لنبيه: قل يا محمد، لمعاشر اليهود من بني إسرائيل الذين زعموا أن جبريل لهم عدو من أجل أنه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة، فأبوا اتباعك وجحدوا نبوتك، وأنكروا ما جئتهم به من آياتي وبينات حكمي من أجل أن جبريل وليك وصاحب وحيي إليك، وزعموا أنه عدو لهم: من يكن من الناس لجبريل عدوا ومنكرا أن يكون صاحب وحي الله إلى أنبيائه وصاحب رحمته فإني له ولي وخليل، ومقر بأنه صاحب وحي إلى أنبيائه ورسله، وأنه هو الذي ينزل وحي الله على قلبي من عند ربي بإذن ربي له بذلك يربط به على قلبي ويشد فؤادي.

﴿فإنه نزله على قلبك﴾ وهو يعني بذلك قلب محمد ﷺ، وقد أمر محمدا في أول الآية أن يخبر اليهود بذلك عن نفسه.

أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه له". ومن طريقه أخرجه الطبراني (٨٥٢٥).

[١] كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**» رواه مسلم ح٢٥٨٨.

[٢] أخرجه ابن ابي الدنيا في ((كتاب الصمت)) (١١٣)، قال: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم، فذكره. وصحح الخبرَ محقّقُ الكتاب: أبو إسحاق الحويني.

[٣] رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٧٢٧٠): حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود به. وإسناده صحيح.

[٤] أورده الذهبي في ((السِّيَر)) (٢٤٣/٧)، قال: "أبو هشام: حدثنا وكيع سمعت سفيان يقول..."فذكره.

[٥] تفسير الطبري (٢٨٣/٢).

﴿مصدقا لما بين يديه﴾ القرآن. ونصب مصدقا على القطع من الهاء التي في قوله: ﴿نزله على قلبك﴾ فمعنى الكلام: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك يا محمد مصدقا لما بين يدي القرآن، يعني بذلك مصدقا لما سلف من كتب الله أمامه، ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد ﷺ وتصديقه إياها موافقة معانيه معانيها في الأمر باتباع محمد ﷺ. وما جاء به من عند الله، وهي تصدقه.

﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وهدى﴾ ودليل وبرهان. وإنما سماه الله جل ثناؤه هدى لاهتداء المؤمن به، واهتداؤه به اتخاذه إياه هاديا يتبعه وقائدا ينقاد لأمره ونهيه وحلاله وحرامه. والهادي من كل شيء ما تقدم أمامه، ومن ذلك قيل لأوائل الخيل: هواديها، وهو ما تقدم أمامها، وكذلك قيل للعنق: الهادي، لتقدمها أمام سائر الجسد. وأما البشرى فإنها البشارة. أخبر الله عباده المؤمنين جل ثناؤه أن القرآن لهم بشرى منه؛ لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه. وذلك هو البشرى التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه؛ لأن البشارة في كلام العرب هي إعلام الرجل بما لم يكن به عالما مما يسره من الخير قبل أن يسمعه من غيره أو يعلمه من قبل غيره".[1]

قال ابن كثير: "﴿**قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله**﴾ أي: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله ملكي – عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة السلام – ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا(١٥١)**﴾ **[النساء]** فحكم عليهم بالكفر المحقق، إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه كما قال: ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا**﴾ **[مريم:٦٤]** وقال تعالى: ﴿**وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤)**﴾ **[الشعراء]**

وقد روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب**»[2]؛ ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه، فقال: ﴿**من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه**﴾ أي: من الكتب المتقدمة.

---

(١) تفسير الطبري (٢/٢٩٢-٣٠٠).

(٢) رواه البخاري ح٦٥٠٢.

﴿**وهدى وبشرى للمؤمنين**﴾ أي: هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة، وليس ذلك إلا للمؤمنين".[(١)]

قال القاسمي: "﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ روى البخاريّ في صحيحه في كتاب التفسير عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام، بقدوم رسول الله ﷺ، وهو في أرض يخترف[(٢)]، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام أهل الجنة؟، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفا**» قال: جبريل؟: قال: «**نعم**»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾ «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت**»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ : «**أي رجل عبد الله فيكم؟**». قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام**». فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله".[(٣)(٤)]

قال صاحب الجواهر الحسان: "﴿قل من كان عدوا لجبريل...﴾ أجمع أهل التفسير أن اليهود قالت: جبريل عدونا، واختلف في كيفية ذلك، فقيل: إن يهود فدك[(٥)] قالوا للنبي ﷺ:

نسألك عن أربعة أشياء، فإن عرفتها، اتبعناك، فسألوه عما حرم إسرائيل على نفسه، فقال:

«**لحوم الإبل، وألبانها**»، وسألوه عن الشبه في الولد، فقال: «**أي ماء علا، كان له الشبه**» وسألوه عن نومه، فقال: «**تنام عيني، ولا ينام قلبي**»، وسألوه عمن يجيئه من الملائكة، فقال: «**جبريل**»، فلما ذكره، قالوا: ذاك عدونا لأنه ملك الحرب، والشدائد، والجدب، ولو كان الذي يجيئك ميكائيل ملك الرحمة، والخصب، والأمطار، لاتبعناك"[(٦)(٧)]

قال الشوكاني: "هذه الآية قد أجمع المفسرون على أنها نزلت في اليهود. قال ابن جرير الطبري: وأجمع أهل التأويل جميعا أن هذه الآية نزلت جوابا على اليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ثم اختلفوا ما كان سبب قولهم ذلك؟ فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ من أمر نبوته.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٤١/١-٣٤٢).
(٢) يخترف: يجني من ثمارها.
(٣) تفسير القاسمي (٣٥٦/١-٣٥٧).
(٤) أخرجه البخاري، ح ٣٣٢٩، ٤٤٨٠.
(٥) هي بلدة على مرحلتين من المدينة.
(٦) الجواهر الحسان (تفسير الثعالبي) (٢٨٥/١).
(٧) روى الإمام أحمد في ((المسند)) ح٢٥١٤ نحو هذا الحديث، وحسنه محققوا المسند، إلا أن اللفظ الذي تقدم من حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري هو الأصح، وقد بوّب له البخاري بقوله: "باب ﴿من كان عدوا لجبريل﴾".

والضمير في قوله: ﴿فإنه﴾ يحتمل وجهين: الأول أن يكون لله، ويكون الضمير في قوله: ﴿نزله﴾ لجبريل، أي: فإن الله سبحانه نزل جبريل على قلبك، وفيه ضعف كما يفيده قوله: ﴿مصدقا لما بين يديه﴾. الثاني: أنه لجبريل، والضمير في ﴿نزله﴾ للقرآن، أي: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك، وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم.

وقوله: ﴿بإذن الله﴾ أي: بعلمه وإرادته وتيسيره وتسهيله. و﴿لما بين يديه﴾ هو التوراة كما سلف، أو جميع الكتب المنزلة، وفي هذا دليل على شرف جبريل وارتفاع منزلته، وأنه لا وجه لمعاداة اليهود له، حيث

كان منه ما ذكر من تنزيل الكتاب على قلبك، أو من تنزيل الله له على قلبك، وهذا هو وجه الربط بين الشرط والجواب، أي: من كان معاديا لجبريل منهم فلا وجه لمعاداته له، فإنه لم يصدر منه إلا ما يوجب المحبة دون العداوة، أو من كان معاديا له، فإن سبب معاداته أنه وقع منه ما يكرهونه من التنزيل، وليس ذلك بذنب له وإن نزهوه، فإن هذه الكراهة منهم له بهذا السبب ظلم وعدوان، لأن هذا الكتاب الذي نزل به هو مصدق لكتابهم، وهدى وبشرى للمؤمنين".[1]

قال صاحب المنار: "﴿وهدى﴾ أي: نزله هاديا من الضلالات والبدع التي طرأت على الأديان، فألقت أهلها في حضيض الهوان، والعاقل لا يرفض الهداية التي تأتيه وتنقذه من ضلال هو فيه؛ لأن الواسطة في مجيئها كان عدوا له من قبل، فإن هذا الرفض من عمل الغبي الجاهل الذي لا يعرف الخير بذاته وإنما يعرفه بمن كان سببا في حصوله".[2]

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية

حَرَصَ رسول الله ﷺ على هداية الناس أجمعين؛ لأن الله أرسله رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء ١٠٧].

وعمِل ﷺ على هداية المشركين في مكة، وعندما انتقل إلى المدينة عمِل على هداية أهل الكتاب، وعلى رأسهم اليهود الذين كانوا يجاورونه. لكنّ هذا الحرص لم يقابَل بالمِثل، بل قوبل بالرفض والعناد والبغي والافتراء، فاتهم اليهود جبريل – عليه السلام – بأنه عدو لهم، فردَّ الله عليهم بأنه من كان عدوا لجبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل يتنزل بأمر الله، وهو أمين الوحي، من الله لأنبيائه ورسله، وأن ما أنزله الله هو الحق، وفيه الهدى والبشرى للمؤمنين رغم أنف المكذبين.

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

– واجه رسول الله ﷺ تحديات كثيرة لإيصال دعوة ربه إلى العالمين، فصبر صبرا جميلا وجاهد في الله حق الجهاد؛ فحري بالدعاة اليوم أن يلتمسوا طريق المصطفى ﷺ ويصبروا كما صبر.

ومما تعرّض له رسول الله ﷺ: حنق اليهود وبهتهم، وكان من بهتهم أن قالوا: جبريل عدو لنا، لا يأتي

[1] فتح القدير للشوكاني (١/ ١٣٦-١٣٧) بتصرف يسير.

[2] تفسير المنار – محمد رشيد رضا (٣٢٤/١).

إلا بالشر والبلاء، وهذا بهتان افتروه لتبرير كفرهم بالرسول ورسالته الخاتمة، وكراهتهم أن يمنح الله من فضله شيئا لسواهم.

وديدن اليهود قديما وحديثا: اختلاق الأكاذيب على الرسل خاصة، ووصفهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه بأنهم قوم بُهت.

– لا يعادي أولياء الله إلا المجرمون، وأكبرهم جرما من علِم أن الذي يعاديه ولي من أولياء الله، ولا يتأتى هذا إلا ممن اجتالته الشياطين عن دينه؛ فاستحل الظلم والعدوان، وهذا واقع في أهل الكتاب عامة، وفي اليهود خاصة، ممن سلكوا سبيل التكذيب حتى قتلوا من الأنبياء ما قتلوا – والعياذ بالله – إلا أن الله جعل من أهل الكتاب بقايا يتبعون الحق ويحكمون به؛ فصدقوا بالرسل وصبروا على البلاء معهم.

وفي حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: **أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ**...الحديث.[1]

– في إنزال القرآن على قلب رسول الله ﷺ حكمة بالغة؛ لأن القلب هو موضع التلقي، وهو الذي يفقه به المرء، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] والقلب هو المضغة التي إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله.

– القرآن يصدق ما سبقه من الكتب السماوية؛ فأساس دين الله واحد، والرسل بعضهم أولى ببعض، كما جاء في الحديث الصحيح: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[2]

– القرآن هو الهدى والبشرى للقلوب المؤمنة التي تستجيب له، ويسكب في قلب المرء الأنس، ويفتح له أبواب الخير، ويعز الله به من يشاء. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من قرأ القرآن فليبشر".[3]

الفصل الثالث قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين﴾

---

(١) صحيح مسلم ح٢٨٦٥.

(٢) صحيح البخاري ح٣٤٤٢، ٣٤٤٣. وصحيح مسلم ح٢٣٦٥.

(٣) أخرجه ابن ابي شيبة في ((المصنف)) (٣٢٠٧٥)، قال: حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله: من قرأ القرآن فليبشر. وإسناده معلوم الصحة.

المبحث الأول: سبب النزول

قال ابن أبي حاتم: "حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: " أخبر الله سبحانه المؤمنين، أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته، لتطيب أنفسهم فقال: ﴿مستهم البأساء والضراء﴾ [البقرة: ٢١٤]"[١]

وقال الطبري: "حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر وبشرهم، فقال: ﴿وبشر الصابرين﴾ ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم".[٢]

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير

قال الثعلبي: "﴿ولنبلونكم﴾ أي: ولنختبرنكم يا أمة محمد ﴿بشيء من الخوف﴾ قال ابن عباس: الخوف يعني: خوف العدو[٣] ﴿والجوع﴾ يعني: المجاعة والقحط ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي ﴿والأنفس﴾ يعني: الموت والقتل، وقيل المرض، وقيل الشيب ﴿والثمرات﴾ يعني: الجوائح، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج. ﴿وبشر الصابرين﴾ على البلايا والرزايا".[٤]

قال الطبري: "﴿ولنبلونكم﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله ﷺ أنه مبتليهم، وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءه قبلهم، ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة:٢١٤].

﴿بشيء من الخوف﴾ يعني من الخوف من العدو. وبالجوع: وهو القحط. يقول: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم وبسَنَةٍ تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم، وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار، فينقص لها عددكم، وموت ذراريكم، وأولادكم، وجدوب تحدث، فتنقص لها ثماركم. كل ذلك امتحان مني لكم واختبار مني لكم، فيتبين صادقوكم في إيمانهم من كاذبيكم فيه، ويعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه والشك والارتياب. كل ذلك خطاب منه لأتباع رسول الله ﷺ وأصحابه.

[١] تفسير ابن أبي حاتم (١٩٩٩).
[٢] تفسير الطبري (٧٠٤/٢). وفي صحة ما يرويه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نظر.
[٣] ذكره ابن الجوزي في ((زاد المسير)) (١٢٤/١).
[٤] الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٤/٤-٢٢٧).

وإنما قال تعالى ذكره: ﴿بشيء من الخوف﴾ ولم يقل "بأشياء" لاختلاف أنواع ما أعلم عباده أنه ممتحنهم به. فلما كان ذلك مختلفا وكانت ((من)) تدل على أن كل نوع منها مضمر في شيء وأن معنى ذلك: ولنبلونكم بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وبشيء من نقص الأموال. اكتفى بدلالة ذكر الشيء في أوله من إعادته مع كل نوع منها. ففعل تعالى ذكره كل ذلك بهم وامتحنهم بضروب المحن.

ثم قال تعالى ذكره لنبيه ﷺ: يا محمد بشر الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به، والحافظين أنفسهم عن التقدم على نهيي عما أنهاهم عنه، والآخذين أنفسهم بأداء ما أكلفهم من فرائضي مع ابتلائي إياهم بما ابتليتهم به القائلين إذا أصابتهم مصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون. فأمره الله تعالى ذكره بأن يخص بالبشارة على ما يمتحنهم به من الشدائد أهل الصبر الذين وصف الله صفتهم. وأصل التبشير: إخبار الرجل الرجلَ الخبر يسره أو يسوءه لم يسبقه به إليه غيره".(١)

قال السمعاني: "﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾ واللام فيه لجواب القسم. وتقديره: والله لنبلونكم. وحكمة الابتلاء لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئا ﴿بشيء من الخوف﴾ خوف العدو ﴿والجوع﴾ بالقحط والجدب ﴿ونقص من الأموال﴾ بالخسران والهلاك ﴿والأنفس﴾ بالمرض والشيب والموت ﴿والثمرات﴾ بالجوائح، وقيل: بالأولاد؛ وذلك أنهم ثمرات القلوب، وحكمة الابتلاء بهذه الأشياء: حتى إذا صبروا عليه فكل من سمع به بعدهم علم أنهم أنما صبروا عليه لِمَا عرفوا من الحق".(٢)

قال صاحب المنار:"﴿ولنبلونكم﴾ أي: ولنمتحننكم ببعض ضروب الخوف من الأعداء وغيره من المصائب البشرية المعتادة في المعايش، وأكد هذا بصيغة القسم لتوطين الأنفس عليه، فعلمهم به أن مجرد الانتساب إلى الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وقوة السلطان، وانتفاء المخاوف والأحزان، بل يجري ذلك بسنن الله تعالى في الخلق، كما أن من سنن الخلق وقوع المصائب بأسبابها. وإنما المؤمن الموفق من يستفيد من مجاري الأقدار، إذ يتربى ويتأدب بمقاومة الشدائد والأخطار، ومن لم تعلمه الحوادث، وتهذبه الكوارث فهو جاهل بهدي الدين، متبع غير سبيل المؤمنين، غير معتبر بقوله تعالى بعد ذكر هذا البلاء المبين:

﴿وبشر الصابرين﴾ فإنه تعالى أراد أن ينبهنا بهذا إلى أن هذه العقيدة هي التي تكتسب بها ملكة الصبر التي يقرن بها الظفر، ويكون صاحبها أهلا لأن يبشر باحتمال البلاء والاستفادة بحسن العاقبة في الأمور كلها.

فالبشارة في الآية عامة ولم يذكر المبشر به إيذانا بذلك وهو إيجاز لا يعهد مثله في غير القرآن الحكيم، فأنت ترى أنه لو أريد ذكر ما يبشرون به لخرج الكلام إلى تطويل لا حاجة إليه كبيان عاقبة

(١) تفسير الطبري (٧٠٣/٢-٧٠٦).

(٢) تفسير السمعاني (١٥٦/١-١٥٧).

من يقع في كل نوع من أنواع المخاوف فيصابرها وينجح في أعقابها وهي كثيرة، وهكذا الخوف المشار إليه في الآية – وأعداء الإسلام على ما كانوا عليه من الكثرة والقوة – ظاهر لا يخفى.

على أن بعضهم فسره بالخوف من الله تعالى وهو باطل؛ لأن هذا من أعظم ثمرات الإيمان لا من مصائب الامتحان، فهو نعمة تعين على الصبر لا مصيبة يطلب الصبر عليها أو فيها لأجل تهوين خطبها، وأما الجوع فقد قالوا: إنه ما يكون من الجدب والقحط".(١)

قال ابن كثير: "﴿بشيء من الخوف﴾ وقد حكى بعض المفسرين أن المراد من الخوف هاهنا: خوف الله، وبالجوع: صيام رمضان، ونقص الأموال: الزكاة، والأنفس: الأمراض، والثمرات: الأولاد. وفي هذا نظر، والله أعلم".(٢)

قال السعدي: "﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ من الأعداء ﴿وَالْجُوعِ﴾ أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

﴿وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك.

﴿وَالأَنْفُسِ﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها والخضر، ببَرْدٍ، أو بَرَدٍ، أو حرق، أو آفة سماوية من جراد ونحوه.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب.

فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة".(٣)

قال صاحب أضواء البيان: "قوله: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ قبل وقوع ذلك دليل على أن هذه المصائب معلومة له – جل وعلا – قبل وقوعها، ولذا أخبرهم تعالى بأنها ستقع، ليكونوا مستعدين لها وقت نزولها بهم، لأن ذلك يعينهم على الصبر عليها".(٤)

قال الزحيلي: "أخبر الله بأن المؤمنين يتعرضون للمصاب بشيء قليل من الخوف والجوع ونقص

(١) تفسير المنار (٣٢/٢-٣٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٧/١).
(٣) تفسير السعدي ص٧٥.
(٤) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٥٤٩/٧).

الأموال بضياعها، والأنفس بموتها، والثمرات بقلّتها، لتهدأ القلوب وتسكن، وتستسلم إلى الله، راضين بقضائه وقدره إذا ما أصابهم شيء من ذلك في الدنيا، محتسبين الأجر والثواب عند الله، قائلين: إنا لله وإنا إليه راجعون. والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب، والشهداء تنزل عليهم المغفرة والرحمة من ربّهم الذي ربّاهم وتولّى أمورهم، وأولئك هم المهتدون إلى الأفعال النافعة وخير البلاد والوطن".(١)

قال أبو حيان: "﴿وبشر الصابرين﴾ خطاب للنبي ﷺ، أو لكل من تتأتى منه البشارة، أي على الجهاد بالنصر، أو على الطاعة بالجزاء، أو على المصائب بالثواب؛ أقوال، والأحسن عدم التقييد، أي كل من صبر صبرا محمودا شرعا، فهو مندرج في الصابرين".(٢)

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية

في الآية حث على توطين النفوس أثناء المصائب، والإعلام بأنها واقعة؛ لتخف وتسهل إذا وقعت، وبيان ما تقابَل به، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابرين من أجر، وأنه سنة الله لا تبديل لها، تقع على خيارهم وشرارهم، ولا يجني خيرها إلا أهل الإيمان الصابرون.

ومن سنة الله تعالى أنْ كتب الابتلاء على عباده فإذا وقع البلاء انقسم الناس إلى فسطاطين، فسطاط يرى أنه من عند الله وتمحيص منه، فيحتسب على الله ما يصيبه منه، وفسطاط لا يزيده البلاء إلا خبثا، كما

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (٧١/١).
(٢) البحر المحيط (٥٦/٢).

هو حال أكثر الكافرين والمنافقين؛ لأن الدنيا عزيزة عليهم، فلا يحبون أن يخسروا منها شيئا دون مقابل بمثله في الدنيا.

فمن وفقه الله للصبر والاحتساب: فاز بالأجر والثواب. ومن لم يوفق لذلك خسر خسرانا مبينا.

وقوله تعالى: ﴿بشيء﴾ يشعر بالتقليل، وهذه رحمة من الله؛ لأنه قادر على أن يبلوهم بما هو أكبر، ولكنه سبحانه وتعالى يجعل مع العسر يُسْرَين، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**إِنَّهُ مَا نَزَلَ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ شِدَّةٌ، إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَعْدَهَا فَرَجاً، وَإِنَّهُ لاَ يَغْلِبُ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**"(٣)

فالله لطيف بعباده، خبير بشؤونهم، ميسر لأمورهم، ثم أتبع ذكر البلاء بذكر الجزاء، فقال: ﴿وبشر الصابرين﴾ ولم يقيّد البشرى، فهي بشرى مطلقة، أي: فليبشروا بكل خير.

والصابرون قد ذكرهم الله في مواطن شتى من كتابه، فقال: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر:١٠]

وقال: ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة:١٧٧]

(٣) أورده الذهبي في ((السير)) (١٥/١): قال: وقال ابن المبارك في ((الجهاد)) له: عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: "بلغ عمر أن أبا عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجا، وإنه لا يغلب عسر يسرين..." وعلّق عليه المحققون: "إسناده قوي، ورجاله ثقات".

وقال: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [محمد:٣١]

وقال: في وصف المخبتين ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ [الحج:٣٥]

وقال في وصف المؤمنين: ﴿والصابرين والصابرات﴾ [الأحزاب:٣٥]

وأمر به بقوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت:٣٥]

وقال: ﴿اصبروا وصابروا﴾ [آل عمران:٢٠٠]

وقال: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال:٤٦]

فالصبر خُلُقٌ أصيل في أهل الإيمان، وبه يجد المرء خيرَ عيشه.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[(١)]

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: "**إنا وجدنا خير عيشنا بالصبر**"[(٢)]

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

- اختار الله المسلمين ليكونوا خلفاءه في الأرض، وهذا الاستخلاف يقتضي تكاليف لا مناص من بذلها، من الأموال والأنفس والثمرات وهذا البذل لا يعود على المرء إلا بخير.

- في البلاء تربية للنفوس، وامتحان لتحمل الشدائد للنجاح في معركة الحق.

- تحمل البلاء هو أداء لتكاليف العقيدة كي تعز على نفوس أصحابها بمقدار ما أدّوا في سبيلها.

- العقائد التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند أول صدمة أو بلاء.

- لن يدرك أهل الملل قيمة عقيدة أهل الإسلام إلا حين يرون صبرهم لأجلها، وبذلهم مهجهم لنصرتها.

- اتّباع الرسل لا يتم إلا بالصبر، بالصبر على أذى أعدائهم، وبالصبر على ما يؤمرون به من تكاليف أوجبها الله، وإن نبينا ﷺ نصره الله بأصحاب مخلصين، صبروا معه وقاتلوا دونه، وفدوه بأموالهم وأنفسهم؛ فَكُفِيَ المؤنة من جاء بعدهم بهم. قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه: "**أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم؟، مصدقين لما جاء به نبيكم؟!، قد كفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها فيه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده حتى إن كان الرجل ليرى والده وولده أو أخاه كافرا، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار...**"[(٣)]

(١) صحيح البخاري ح١٤٦٩، ٦٤٧٠. وصحيح مسلم ح١٠٥٣.

(٢) أخرجه ابن المبارك في ((الزهد)) (٥٨٥) قال: أخبرنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب: "إنا وجدنا خير عيشنا بالصبر". وإسناده صحيح إلى مجاهد إلا أنه مرسَل. وعلّقه البخاري في صحيحه (٩٩/٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (٢٣٨١٠) قال: "حدثنا يعمر بن بشر، حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك، أخبرنا صفوان بن عمرو،

– ابتلي أصحاب رسول الله ﷺ بالخوف في مكة، وأُحُد، والأحزاب، وزلزلوا زلزالا شديدا، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وأصابهم الجوع، حتى كان قرة العين ﷺ ربما شد الحجر أو الحجرين على بطنه ليسكن ألم الجوع، وتأسى به أصحابه؛ فرفع الله شأنهم وأعلى رايتهم، وأعز بهم دينه، وَبَشَّرَهُم بالخيرات، وأعتق الله بهم رقاب العباد من النار؛ فما يكاد يوجد بيت في الآفاق إلا ودخله الإسلام، وما يدخل داخل في دين الله إلى يومنا هذا إلا ولهم عليه فضل.

الفصل الرابع قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين﴾

المبحث الأول: سبب النزول

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا، كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[1]

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير

قال الطبري: "﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ نساؤكم مزدرع أولادكم، فأتوا مزدرعكم كيف شئتم، وأين شئتم. وإنما عنى بالحرث المزدرع، والحرث هو الزرع، ولكنَّهُنَّ لما كُنَّ من أسباب الحرث جعلن حرثا، إذ كان مفهوما معنى الكلام.

﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ يعني تعالى ذكره بذلك: فانكحوا مزدرع أولادكم من حيث شئتم من وجوه المأتى. والإتيان في هذا الموضع كناية عن اسم الجماع.

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أمر من الله تعالى ذكره عباده بتقديم الخير، والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم، عدة منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب.

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾ وهذا تحذير من الله تعالى ذكره عباده أن يأتوا شيئا مما نهاهم عنه من معاصيه، وتخويف لهم عقابه عند لقائه، كما قد بينا قبل، وأمر لنبيه محمد ﷺ أن يبشر من عباده بالفوز يوم القيامة، وبكرامة الآخرة، وبالخلود في الجنة من كان منهم محسنا مؤمنا بكتبه ورسله وبلقائه، مصدقا إيمانه قولا بعمله ما أمره به ربه، وافترض عليه من فرائضه فيما ألزمه من حقوقه، وبتجنبه ما أمره بتجنبه من معاصيه".[2]

قال الثعلبي: "﴿أنى شئتم﴾ أي: كيف شئتم، وحيث شئتم ومتى شئتم، بعد أن يكون في صمام[3] واحد. و((أنى)) حرف استفهام ويكون سؤالا عن الحال والمحل.

وفي هذه الآية أدل دليل على تحريم أدبار النساء؛ لأنها موضع الفرث لا موضع الحرث، وإنما قال الله

حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما، فمر به رجل.."
وصححه محققوا المسند، وذكروا تصحيح ابن كثير له. وصححه الشيخ الألباني في تعليقاته على الأدب المفرد للبخاري.

(١) صحيح البخاري (٤٥٢٨) وصحيح مسلم (١٤٣٥). وهو أصح شيء في الباب، وما سواه فلا يخلو من مقال.

(٢) تفسير الطبري (٣/٧٤٥-٧٦٣) بتصرف يسير.

(٣) يعني الفرج.

تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ وهذا من أظرف كنايات القرآن، حيث عبّر بالحرث عن الفرج، فقال: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أي: مزرع ومنبت الولد، وأراد به المحترث والمزدرع، ولكنهن لمّا كن من أسباب الحرث جعلهن حرثا.

وقال أهل المعاني: تقدير الآية: نساؤكم كحرث لكم، كقوله تعالى: ﴿حتى إذا جعله نارا﴾ [الكهف:٩٦] أي: كنار.

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يعني: طلب الولد.

وقيل: هو التزوج بالعفائف؛ ليكون الولد صالحا طاهرا.

وقيل: هو تقديم الأفراط[١]. قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «**وَاثْنَتَيْنِ**»[٢]

وقال مجاهد: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يعني: إذا أتى أهله فليدع[٣].

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ**»[٤]

﴿واتقوا الله﴾ فيما أمركم به، ونهاكم عنه.

﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ فيجزيكم بأعمالكم".[٥]

قال السمعاني: "واعلم أن الآية لا تدل على إباحة إتيان النساء في غير المأتى؛ لأنه قال: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم﴾ فخص الإتيان بموضع الحرث، وهو القُبُل.

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ قال ابن عباس: هو التسمية على الوطء[٦]. وقيل: هو طلب الولد. وقيل: سائر أفعال الخير.

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ صائرون إليه ﴿وبشر المؤمنين﴾ يا محمد".[٧]

قال الواحدي: " ﴿نساؤكم حرثٌ لكم﴾ أَيْ: مزرع ومنبت للولد.

﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أَيْ: كيف شئتم ومن أين شئتم بعد أن يكون في صِمام واحدٍ.

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أَي: العمل لله بما يحبُّ ويرضى.

﴿واتقوا الله﴾ فيما حدَّ لكم من الجماع وأمرِ الحائض.

﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ أَيْ: راجعون إليه.

﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين خافوه وحَذِروا معصيتَه".[٨]

قال الشوكاني: "﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ لفظ الحرث يفيد أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج الذي هو القبُل خاصة؛ إذ هو مزدرع الذرية، كما أن الحرث مزدرع النبات.

---

(١) فَرَط الولد: صغاره ما لم يدركوا، أي أولادا لم يبلغوا الحلم.

(٢) صحيح البخاري ح١٠١. وصحيح مسلم ح٢٦٣٣. واللفظ الذي أورده الثعلبي فيه بعض الاختلاف؛ فاقتصرت بإيراد اللفظ المتفق عليه.

(٣) ذكره البغوي في ((معالم التنزيل)) (٢٦٢/١)

(٤) صحيح البخاري ح١٤١، ٦٣٨٨، ٧٣٩٦. ومسلم ح١٤٣٤.

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (٨٢/٦-١٢٢) بتصرف يسير.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٦٢/٣)، قال: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن عطاء، قال: أراه عن ابن عباس: " ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ قال: التسمية عند الجماع، يقول: بسم الله". ولا يصح عن ابن عباس، والصواب أنه من قول عطاء؛ فقد أخرجه عبد الرزاق في ((التفسير)) (٣٤٢/١) قال: "محمد بن كثير قال: نا عبد الله بن واقد، قال: حدثني طلحة بن عمرو، عن عطاء" فذكره. وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) (٢١٤٠) قال: "ذكر لي عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهروي، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء" فذكره.

(٧) تفسير السمعاني (٢٢٦/١-٢٢٧).

(٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ص١٦٨.

﴿أنى شئتم﴾ أي: من أي جهة شئتم: من خلف، وقدام، وباركة، ومستلقية ومضطجعة، إذا كان في موضع الحرث.

﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أي: خيرا، كما في قوله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ [البقرة:١١٠] وقيل: ابتغاء الولد وقيل: التزويج بالعفائف، وقيل غير ذلك.

﴿واتقوا الله﴾ فيه تحذير عن الوقوع في شيء من المحرمات.

﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ مبالغة في التحذير.

﴿وبشر المؤمنين﴾ تأنيس لمن يفعل الخير ويجتنب الشر".[١]

قال صاحب المنار: "﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ بيّن في الآية السابقة حكم المحيض، وأحل غشيان النساء بعده، وبيّن في هذه الآية حكمة هذا الغشيان التي شرع الزواج لأجلها، وكان من مقتضى الفطرة وهي الاستنتاج والاستيلاد؛ لأن الحرث هو الأرض التي تستنبت، والاستيلاد كالاستنبات، وهذا التعبير على لطفه ونزاهته وبلاغته وحسن استعارته تصريح بما فهم من قوله عز وجل: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ أو بيان له.

﴿أنى شئتم﴾ معناه كيف شئتم و((أنى)) تستعمل غالبا بمعنى ((كيف)) وتستعمل بمعنى ((أين)) قليلا، ولا يظهر هنا؛ لأن الحرث له مكان واحد لا يتعداه، والأمر مقيد به؛ ولذلك أعاد ذكر الحرث مظهرا ولم يقل ((فأتوهن أنى شئتم)) فكأنه يقول: لا حرج عليكم في إتيان النساء بأي كيفية شئتم ما دمتم تقصدون بها الحرث في موضعه الطبيعي؛ لأن الشارع لا يقصد إلى إعناتكم ومنعكم من لذاتكم، ولكن يريد ليوقفكم عند حدود المصلحة والمنفعة؛ كيلا تضعوا الأشياء في غير مواضعها فتفوت المنفعة وتحل محلها المفسدة.

﴿وقدموا لأنفسكم واتقوا الله﴾ فهذه أوامر تدل على أن هنا شيئا يُرغب فيه وشيئا يُرغب عنه ويحذر منه، أما ما يرغب فيه فهو ما يقدم للنفس وهو ما ينفعها في المستقبل، ولا أنفع للإنسان في مستقبله من الولد الصالح، فهو ينفعه في دنياه، وفي دينه.

فالأمر بالتقديم للنفس يتضمن الأمر باختيار المرأة الودود الولود التي تعين الرجل على تربية ولده بحسن خلقها وعملها، كما يختار الزراعة في الأرض الصالحة التي يرجى نماء النبات فيها.

﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ إنذار للذين يخالفون عن أمره بأنهم يلاقون جزاء مخالفتهم في الآخرة كما يلاقونها في الدنيا بفقد منافع الطاعة والامتثال، وتجرع مرارة عاقبة المخالفة والعصيان، ثم قرن إنذار العاصين بتبشير المطيعين فقال: ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين يقفون عند الحدود ويتبعون هدى الله تعالى في أمر النساء والأولاد، وقد حذف ما به البشارة؛ ليفيد أنه عام يشمل منافع الدنيا ونعيم الآخرة".[٢]

---

[١] فتح القدير للشوكاني (٢٦٠/١).

[٢] تفسير المنار (٢٨٧/٢-٢٨٩) بتصرف.

قال السعدي: " ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل، لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الولد.

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك، ولعن فاعله.[١]

﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القربة والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أحوالكم، كونوا ملازمين لتقوى الله، مستعينين بذلك لعلمكم، أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ ومجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر المبشَّر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضير، رتب على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة.

وفيها محبة الله للمؤمنين، ومحبة ما يسرهم، واستحباب تنشيطهم وتشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي".[٢]

قال الزحيلي: "زوجاتكم موضع الإنجاب وإلقاء النّطف، فأتوهن على أية كيفية تريدون قائمة أو قاعدة، أو جالسة نائمة، أو مضطجعة، إذا كان ذلك في موضع النسل، وقدموا عملا صالحا تجدونه لأنفسكم، عند الله، وخافوا الله من الوقوع بالمحرّمات، واعلموا أنكم ملاقو الله يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، وبشر المؤمنين بالجنة".[٣]

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية أخبر الله تعالى عبادَه بأن الزوجة حرث لزوجها، وهي محل الإنبات، وبيّن أن هذا الحرث ينبغي أن يكون في الموضع الذي خلقه الله له.

وأمر الله تعالى عبادَه أن يقدموا لأنفسهم من الأعمال الصالحة ما ينفعهم يوم القيامة، وحثهم على التقوى وعدم اقتراف الممنوع؛ ليسلموا من معرة الدنيا، ويفوزوا بخير الآخرة. وأَعْلَمَهُمْ أنهم ملاقوه، فأمرهم بتقديم ما يسرهم أن يجدوه عند الله عز وجل من عمل صالح، ثم أتبع ذلك بالبشرى لهم إن امتثلوا.

المبحث الرابع: ما يستفاد من الدروس والعبر

– من حكمة الله في خلقه أن خلق الذكر والأنثى، ليكمل أحدهما الآخر بالزواج، وجعله سكنا لهم، وليصبح كل منهما لباسا وسترا لصاحبه، وجعل ذلك من آياته لقوم يتفكرون.

– النكاح أعمق وأدوم رابطة تصل بين اثنين من بني الإنسان؛ فلا بد إذن من توحد القلوب، وأعظم ما

---

[١] ذهب جماعة من أئمة الحديث إلى عدم ثبوت حديث مرفوع في شأن إتيان النساء في أدبارهن؛ فتبقى دلالة القرآن على ذلك، وتحتمل الأحاديث الصحة بجموعها. قال ابن حجر في ((الفتح)) (١٩١/٨): "وذهب جماعة من أئمة الحديث كالبخاري والذهلي والبزار والنسائي وأبي علي النيسابوري إلى أنه لا يثبت فيه شيء. قلت: لكن طرقها كثيرة فمجموعها صالح للاحتجاج به".

[٢] تفسير السعدي ص١٠٠.

[٣] التفسير الوسيط للزحيلي (١٢٠/١).

يوحد القلوب هو العقيدة؛ فهي أكبر ما يعمر النفوس، ويؤثر فيها ويكيّف مشاعرها.

– جعل الله لكل من الزوجين رغائب، وحث أن تكون هذه الرغائب فيما ينفع للدنيا والآخرة بأن يخرج الله من أصلابهم نسمة تُوَحِّدُه. **ففي الحديث الصحيح المشهور:** أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١)

وعن عمرو بن دينار: أن ابن عمر أراد أن لا ينكح، فقالت له حفصة: تزوج؛ فإن وُلِدَ لك وَلَدٌ فعاش من بعدك دعا لك.(٢)

– أنزل الله شريعته للناس من البشر، لا لجماعة من الملائكة؛ لذلك راعى فطرة الإنسان وتكوينه، وملابسات ضروراته الواقعة في حياته على الأرض.

– في الإنسان ميول ونزعات، وفيه نقص وضعف، وله عواطف ومشاعر، والإسلام يوظفها لمنفعة الخلق؛ فقد أنزل الله كتابه فيه تفصيل كل شيء.

– في هذه المعاني وأشباهها من كلام الله آداب حسنة، على الدعاة أن يتعلموها ويتأدبوا بآدابها ويعلموها للناس.

– يستنبط من الآية أن إتيان المرأة في موضع الأذى ممنوع؛ لأن الله أمرهم مِن قَبلُ أن يعتزلوهن في المحيض حتى يتطهرن، فإذا تطهرن أتوهن من حيث أمرهم الله ﴿**وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ **[البقرة:٢٢٢]**

– حين يوازن المرء بين أسس العلاقات الكريمة التي ارتضاها الله للبشر والمجتمع المؤمن النظيف وبين ما كان قائما في الجاهلية الأولى والجاهلية الحديثة اليوم لعَلِمَ أن هذه المشابهة بين الجاهليّتين ليست بمستغربة؛ فالتّيه ملته واحدة، وأصحاب الملل التائهة يدعون إلى شيء واحد، وهو: الانسلاخ من شرائع الله، حتى كان هذا الانسلاخ من ربقة الفطر السليمة، والأخلاق الكريمة؛ فإنك إن وجدت من لا يفعل الموبقات فيهم: فلن تجد من ينكره حتى بقلبه، بل يعلنون رضاهم بها.

فالله ربى عباده على إنكار المنكر، ولا يكفي عدم فعله، بل الراضي بها وفاعلها حكمهما سواء؛ ذلك بأن المآل واحد في تفشي السوء.

– أراد الله تذكير عباده بالغاية والهدف من فعل الحرث، وأن يتجهوا إلى الله فيه بنية العبادة؛ فيكون عملا صالحا يقدمونه على الرغم مما يصاحبه من لذة.

– اختار الله للإنسان منهج الفطرة. وكلُّ منهج آخر لا ينسجم مع منهج الله فمصيره الفشل، ويشقى الناس بعد ذلك جماعة وفرادى.

– بُعِثَ رسول الله ﷺ متمما لصالح الأخلاق، وهديه خير الهدي؛ فكان من هديه عدم التكلف، وتقويم الفِطَر؛ فكان يصلي في النعال مخالفا تكلّف من أوجب ذلك من اليهود، ويؤاكل الحائض ويباشرها، مخالفا تكلف من أوجب اعتزالها ومن يرى أنها نجسة، حتى قالوا: "**ما يريد هذا الرجل أن يدع من**

(١) صحيح مسلم ح١٦٣١.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ص٢٧٣، قال: "أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار أن ابن عمر..." فذكره. وإسناده معلوم الصحة.

أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه"[١] وكذلك كان يأمر بالتزوج، وكان أكثرَ هذه الأمة نساء، مخالفا رهبانية النصارى المبتدَعة.

– يؤجر المؤمن بجماع أهله على حسب نيته. وفي الحديث الصحيح المشهور: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»[٢]

– الرهبانية ليست من الإسلام في شيء؛ فقد نهى رسول الله ﷺ عن التبتل[٣] والتنطع، وقال: «**والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٤]

فالنكاح من سنن الفطرة، وهو سنة سائر النبيين.

وروى سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة، قال: قال لي طاووس: "**لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور**".[٥]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "**لو لم يبق من الدهر إلا ليلة لأحببت أن يكون لي في تلك الليلة امرأة**".[٦]

وقد قال الله تعالى من قَبْلُ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة:٨٧].

---

[١] صحيح مسلم ح٣٠٢.
[٢] صحيح مسلم ح١٠٠٦.
[٣] صحيح البخاري ح٥٠٧٣، ٥٠٧٤. وصحيح مسلم ح١٤٠٢.
[٤] صحيح البخاري ح٥٠٦٣. وصحيح مسلم ح١٤٠١.
[٥] أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١٦٦٥٦) عن سفيان به. وهو صحيح مرسل.
[٦] أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١٦٦٦٢) قال: حدثنا عبيد الله، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود، به. وإسناده جيّد. وعبيد الله: هو ابن موسى.

الخاتمة

جعل الله آيات البشرى من مقاصد إرسال الرسل، والبشارة مطية الداعية إلى قلوب المدعوين، وكم من أناس هداهم الله بذكر الرحمة؟!

لقد قدّم الله التبشير على الإنذار؛ لأن الطبائع تلين إليه، إلا أنه لم يقتصر عليه لكيلا تميل الأنفس كل الميل فتغلّب جانب الرجاء مع ترك الأعمال، كما يفعل بعض الناس ممن يتركون الصلاة أو غيرها من أركان الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فدين الله وسط في كل أمر، وَجَعَلَ اللهُ أمّةَ محمد ﷺ أمّة وسطا ليكونوا شهداء على الناس؛ فمن فرّط أو أفرط عُلِم بطلان ما ذهب إليه بداهة.

وقد تواترت الأخبار عن صحابة رسول الله ﷺ في فهمهم لهذا المعنى؛ فإنك لا تجد فيهم غاليا ولا جافيا، بل كانوا يحذَرون النفاق ويحذّرون منه، ويبغضون التنطع وينفّرون منه، ومن وقع في شيء من ذلك تاب إلى الله منه، وما كانوا بالمتصنعين، ولا بالمتكلفين، بل فهموا جوهر الدين، واستجابوا لقول رب العالمين:

﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ(50)** ﴾ **[الحجر]**

فلا يمنعهم رجاؤهم أن يخافوا ذنوبَهم، ولا خوف ذنوبهم أن يكونوا راجين، بل الابتغاء بين ذلك هو سبيل الراشدين وهدي النبيين.

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه،**

وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه" أخرجه البخاري (٦٣٠٨).

فعلى الدعاة إلى الله أن يشيعوا البشرى بين الناس، فيبدؤوا بما بدأ الله به، ويحرضوا على الخير ويستنهضوا الهمم ويعينوا على المعروف، ويحذروا من الاغترار أيضا.

نسأل الله تعالى أن يوفق الدعاة لدينه إلى ما يحب ويرضى، وأن يستعملنا وإياهم في طاعته، وأن يجعلنا وإياهم ممن ينصر الله بهم دينه ويدافع عن شرعه، إنه لنِعم المولى ولنِعم النصير.

وصلى الله على معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنش، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بوزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

٣- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤- البسيط في تفسير القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، من مصورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٥- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ.

٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٧- التفسير لعبد الرزاق، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام الحِمْيَريّ الصنعاني، تحقيق: د.محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٨- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٠- الزهد لهنّاد، أبو السّرِي هناد بن السري التميمي الدارمي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١١- الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، تحقيق: أحمد فريد، دار المعراج، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٢- الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، تحقيق: أبو إسحاق

الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٣- القرآن الكريم، طبعة مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.

١٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

١٥- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي النعماني الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٦- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٧- المسند لأحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٨- المسند للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطّلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٩- المصنَّف لابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٢٠- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - الدار الشامية، بيروت - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٢٣- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٢٤- تفسير القرآن للسمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، السمعاني التميمي، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٥- تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا الحسيني القلموني، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٣٦٦هـ.

٢٦- تهذيب اللغة، الأزهري محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٩- خلق أفعال العباد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض.
٣٠- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي، دار الفكر، بيروت.
٣١- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٢- سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان، سعيد بن منصور بن شعبة الجوزجاني، تحقيق: د.سعد بن عبد الله آل حميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، دار الألوكة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
٣٣- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٣٤- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٥- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٣٧- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٨- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبو عبد الله محمد بن أيوب ابن الضريس، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٩- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف المغربية.
٤٠- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد

الشيحي، تحقيق: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤١- لسان العرب، أبو الفضل، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٤٢- محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

الفهرست

The Verses of the Good Tidings in Surat Al-Baqarah and Their Significance to Muslim Preachers
(Dawah Study).

Ahmad Mohammad Obeid

Associate Professor, King Abdulaziz University, Faculty of Arts and Humanities, Islamic Law and Studies

Abstract In the name of Allah, the most merciful, most compassionate, peace and blessings of Allah be upon His messenger, his household and companions.
This research is titled: The Verses of the Good Tidings in Surat Al-Baqarah and Their Significance to Muslim Preachers (Dawah Study).
The study analyzed the verses of Quran which contained the words “the good tidings”, which are four, and I have divided the study into four chapters where each chapter discusses a verse:
- The first chapter: ﴿And give good tidings to those who believe and do righteous deeds that they will have gardens [in Paradise] beneath which rivers flow. Whenever they are provided with a provision of fruit therefrom, they will say, "This is what we were provided with before." And it is given to them in likeness. And they will have therein purified spouses, and they will abide therein eternally. ﴾(Al-Baqarah: 25).
- The second chapter: ﴿Say, "Whoever is an enemy to Gabriel - it is [none but] he who has brought the Qur'an down upon your heart, [O Muhammad], by permission of Allah, confirming that which was before it and as guidance and good tidings for the believers." ﴾(Al-Baqarah: 97)
- The third chapter: ﴿And We will surely test you with something of fear and hunger and a loss of wealth and lives and fruits, but give good tidings to the patient, ﴾(Al-Baqarah: 155)
- The fourth chapter: ﴿Your wives are a place of sowing of seed for you, so come to your place of cultivation however you wish and put forth [righteousness] for yourselves. And fear Allah and know that you will meet Him. And give good tidings to the believers. ﴾(Al-Baqarah: 223)
A description of the Surah and its name will be presented as well as the virtues that can be deduced from it. Also, the study demonstrates the reasons behind the revelation of each verse in addition to various interpretations of selected authors (Mufassirun), and the lessons, which are deduced from the Surah, that preachers can benefit from.
As a result, it was concluded that giving good tidings falls under “the good saying” which, in fact, we are ordered, by Allah, to do ﴿And speak to people good [words] ﴾(Al-Baqarah: 83).
Moreover, giving good tidings was one of the prophet’s commandments, peace and blessings be upon him, where he used to instruct his messengers by saying: "Make things easy and do not make them difficult, cheer the people up by conveying glad tidings to them and do not repulse (them).” It is also worth to mention that conveying glad tidings is one of the most loved deeds to Allah, a happiness that you give to the heart of a Muslim with which you implant hope and cleanse the dust of desperation. And that is recommended to any preacher who aims to succeed in his dawah and to every Muslim individual that would like to follow the teachings of his beloved prophet, peace and blessings be upon him.